

الصِّيَام

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلِخُلُوفٍ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ". ^{٣٤١} "٣٤٢"، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ" ^{٣٤٣} [٣٤٤]، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ

^{٣٤١} يُبَيِّنُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، أَي: فِيهِ حِطٌّ وَمَدْخَلٌ لاطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَهُوَ يَتَعَجَّلُ بِهِ ثَوَابًا مِنَ النَّاسِ، وَيَحُوزُ بِهِ حِطًّا مِنَ الدُّنْيَا، إِلَّا الصِّيَامَ؛ فَإِنَّهُ خَالِصٌ لِي، لَا يَعْلَمُ ثَوَابَهُ الْمُرْتَبِّ عَلَيْهِ غَيْرِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، أَي: أَتَوَلَّى جَزَاءَهُ، وَالصِّيَامُ "جُنَّةٌ": وَقَايَةُ مِنَ الْمَعَاصِي وَمِنَ النَّارِ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ "فَلَا يَرْفُثْ"، أَي: لَا يُفْجَشْ فِي الْكَلَامِ، "وَلَا يَصْحَبْ"، أَي: لَا يَصْخُ وَلَا يُخَاصِمُ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ؛ يَعْنِي: إِنْ تَهَيَّأَ أَحَدٌ لِمُشَامَلَتِهِ أَوْ مُقَاتَلَتِهِ، فَلْيَقُلْ لَهُ بِلِسَانِهِ: إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ؛ لِيَكُفَّ خَصْمُهُ عَنْهُ، أَوْ بِقَلْبِهِ؛ لِيَكُفَّ هُوَ عَنْ خَصْمِهِ، وَيُقْسِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، "لِخُلُوفٍ"، أَي: تَغْيِيرُ رَائِحَةِ فَمِ الصَّائِمِ؛ لِحَلَاءِ مَعِدَتِهِ مِنَ الطَّعَامِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، أَي: يَفْرَحُ بِهِمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرَحَ بِفِطْرِهِ، أَي: لَزَوَالِ جُوعِهِ وَعَطَشِهِ حَيْثُ أُبِيحَ لَهُ الْفِطْرُ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَرَحَ بِصَوْمِهِ، أَي: بِجَزَائِهِ وَثَوَابِهِ، أَوْ بِلِقَاءِ رَبِّهِ.

^{٣٤٢} صحيح البخاري ٥٩٢٧ واللفظ له، ومسلم ١٦١ - ١١٥١.

^{٣٤٣} صحيح مسلم ١٦٤ - ١١٥١.

^{٣٤٤} الصِّيَامُ مِنْ أَحَبِّ الْعِبَادَاتِ إِلَى اللَّهِ، وَأَجَلُ الْقُرْبَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ أَجْرَهُ كَبِيرٌ، وَفَضْلُهُ عَظِيمٌ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ"، أَي: كُلُّ شَيْءٍ يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ مِنْ وُجُوهِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالطَّاعَةِ، "يُضَاعَفُ"، أَي: تَكُونُ الْحَسَنَةُ فِيهِ بَعْشَرَةَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةٍ ضِعْفٍ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ اللَّهُ

عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا"^{٣٤٥}، وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ"^{٣٤٦}، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أَخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ"، فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَاجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ

عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي"، أَيْ: إِنَّ الصَّوْمَ مُسْتَثْنَى مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَتضاعَفُ فِيهَا الْحَسَنَاتُ، بَلْ ثَوَابُ الصَّوْمِ لَا يَقْدِرُ قَدْرُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الصَّوْمَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"، أَيْ: إِنَّ ثَوَابَهُ لَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ؛ فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى ذَلِكَ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى عِظَمِ هَذَا الثَّوَابِ وَذَلِكَ الْأَجْرُ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ الصَّائِمَ "يَدْعُ"، أَيْ: يَتْرُكُ، "شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ"، أَيْ: مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ مِنْ مَلَذَّاتِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْجَمَاعِ، وَذَلِكَ يَكُونُ "مِنْ أَجْلِي"، أَيْ: يَتْرُكُ كُلَّ ذَلِكَ طَاعَةً لِي، وَطَمَعًا فِي نَيْلِ مُحَبَّتِي وَرِضَايَ، "لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ"، أَيْ: إِنَّ الصَّائِمَ يَفْرَحُ مَرَّتَيْنِ، "فَرْحَةً عِنْدَ فِطْرِهِ"، وَهَذِهِ هِيَ الْفَرْحَةُ الْأُولَى لِلصَّائِمِ، عِنْدَ انْتِهَاءِ صَوْمِهِ وَإِفْطَارِهِ، وَإِتِمَامِهِ الْعِبَادَةَ رَاجِيًا مِنَ اللَّهِ الثَّوَابَ وَالْفَضْلَ، "وَفَرْحَةً عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ"، أَيْ: وَالْفَرْحَةُ الثَّانِيَةُ تَكُونُ عِنْدَ مَوْتِهِ، حَيْثُ يَنَالُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، "وَلِخُلُوفٍ فِيهِ"، وَالْخُلُوفُ هُوَ مَا يُخْلَفُ بَعْدَ الطَّعَامِ فِي فَمِ الصَّائِمِ مِنْ رَائِحَةٍ كَرِيمَةٍ بِخِلَافِ الْمُعْتَادِ، وَهَذِهِ الرَّائِحَةُ "أَطْيَبُ"، أَيْ: أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ، "مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ"، أَيْ: مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي كَوْنِ الْخُلُوفِ أَطْيَبَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَكُمْ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْزِيهِ فِي الْآخِرَةِ حَتَّى تَكُونَ رَائِحَتُهُ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، أَوْ أَنَّ صَاحِبَ الْخُلُوفِ يَنَالُ مِنَ الثَّوَابِ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، أَوْ أَنَّ الْخُلُوفَ أَكْثَرُ ثَوَابًا مِنَ الْمِسْكِ حَيْثُ نُدِبَ إِلَيْهِ فِي الْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ، أَوْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَسْتَطِيعُونَ رِيحَ الْخُلُوفِ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَطِيعُونَ رِيحَ الْمِسْكِ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَجْرِ وَفَضْلِ الصَّوْمِ.

٣٤٥ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ٢٨٤٠ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ ١٦٨ - ١١٥٣.

٣٤٦ مُسْلِمٌ ٢٠٤ - ١١٦٤.

عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ"، فَشَدَّدْتُ، فَشَدَّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً. قَالَ: "فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ"، قُلْتُ وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟، قَالَ: "نِصْفَ الدَّهْرِ". فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: "يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ^{٣٤٧}، وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَجُلٌ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ؟، فغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَضَبَهُ قَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَجَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟، قَالَ: "لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ - أَوْ قَالَ - لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يَفْطَرْ"، قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟، قَالَ: "وَيُطِيقُ ذَلِكَ أَحَدًا"، قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟، قَالَ: "ذَاكَ صَوْمُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ"، قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟، قَالَ: "وَدِدْتُ أَنِّي طُوِّقْتُ ذَلِكَ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أُخْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أُخْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ" ^{٣٤٨}، وَفِي رَوَايَةٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ. قَالَ: "يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ"، وَسُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ. قَالَ: "يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ"، وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، قَالَ: "ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَبُعِثْتُ فِيهِ،

٣٤٧ صحيح البخاري ١٩٧٥.

٣٤٨ مسلم ١٩٦ - ١١٦٢.

أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ" ^{٣٤٩}، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا" ^{٣٥٠}.

[انظر: {حسنات بلا حساب وليس لها عدد محدد: الصوم؛ الصفحة رقم ٧٢}، و{كيف تعيش أكثر من مرة؟ "مَنْ تَجَاوَزَتْ أَعْمَالُهُمْ أَعْمَارَهُمْ": قيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً؛ الصفحة رقم ٨٩}].

^{٣٤٩} رَوَاهُ مُسْلِمٌ ١٩٧ - ١١٦٢.

^{٣٥٠} حَدِيثٌ صَحِيحٌ: صَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ ٦٤١٥.